**﷽**

**مجالس دراسة كتـــاب: معانــي القــرآن للإمام الفراء**

**تعليق الشيخ الدكتـــور: عبد الســـلام مقبل المجيـــدي**

**المجلس الثالث: ســورة البقرة (28-60)**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد، فاللهم اغفر لنا ولمشايخنا والحاضرين والمستمعين ولجميع المسلمين. وبأسانيد مشايخنا -حفظهم الله تعالى- إلى عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ -أو قال: يَرْحَمُكُمْ- مَنْ فِي السَّمَاءِ».**

**وبأسانيد مشايخنا -حفظهم الله تعالى- إلى كتاب: معاني القرآن للعلامة الفراء -رحمه الله تعالى؛ قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾[البقرة:28]، على وجه التعجُّب والتوبيخ لا على الاستفهام المحض، أيْ: وَيْحَكم كيف تكفرون! وهو كقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[التكوير:26].**

**وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾[البقرة:28] المعنى: وقد كنتم أمواتاً، ولولا إضمار "قد" لم يجز مثله في الكلام. ألا ترى أنه قد قال في سورة يوسف: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾[يوسف:27] المعنى -والله أعلم-: فقد كَذَبتْ.**

**ومثله في كتاب الله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[النساء:90] يريد -والله أعلم-: جاءوكم قد حصِرت صدورهم.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هنا ننبِّه إلى عدة أمورٍ في منهج الإمام الفراء –رحمه الله تعالى-:**

**الأمر الأول: أن الإمام الفراء -رحمه الله- هنا دخل في المعاني، فغلَّب المعاني على الاستعمالات النحوية أو على المواقع النحوية؛ لاحظ هو قال: على وجه التعجب، وهذه مسألة بيانية وليست نحوية؛ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ هل هذا السؤال على سبيل السؤال الحقيقي؟ قال: لا، ليس على وجه الاستفهام المحض، بل هو على وجه التعجُّب والتوبيخ.**

**إذن: أتى على المعاني البيانية، وهو الذي ننتظره منه؛ أن يبين لنا المعاني البيانية لهذه الكلمات القرآنية المباركة.**

**الأمر الثاني: أنه استخدم لفظة الاستفهام، وهذه اللفظة استخدمها كثير من المفسرين، وأنا لا أميل إلى هذا الاستخدام، بل أميل إلى استخدام لفظ السؤال.. أميل إلى أنه إذا جاء مثل هذا التركيب: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾، ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾؛ لا ينبغي للإنسان أن يقول هذا استفهام خرج عن ظاهره إلى كذا وكذا، بل يقول: سؤال خرج عن ظاهره إلى كذا وكذا؛ وذلك لأن لفظة سؤال أجمل وأكثر أدباً من لفظة الاستفهام.**

**الأمر الثالث: أنه -رحمه الله تعالى-: في غاية الأدب والاحتشام مع كلام الله، وهذا عجيب جداً، لاحظ أنه لا يريد أن يقرر معنى إلا ويسبق ذلك بقوله: "والله أعلم" المعنى "والله أعلم"، ولاحظنا أنه في صفحةٍ واحدة كرر "الله أعلم" ثلاث مرات، فهذا يدلُّ على غاية الأدب والاحتشام عنده رحمه الله، والتهيُّب في أن يثبت معنى قد لا يكون مراداً لله سبحانه وتعالى.**

**الأمر الرابع: نقول -وبالله التوفيق-: الأصل أن الاستعمال القرآني للتركيب العربي قاعدة بذاته هذا الأصل، بمعنى: إذا جاء نحويٌ فقال: هذا الاستعمال القرآني فيه إضمار أو فيه حذف أو فيه كذا، نقول له: الحذف والإضمار هذا خارجٌ عن مقتضى الظاهر، والأصل إعمال الكلام بظاهره حتى نُضطر إلى تقدير محذوفٍ.**

**إذاً الأصل أن الاستعمال القرآني قاعدةٌ بذاته، فلا ينبغي لنا أن نبحث ونقول: هناك مضمر، وهناك مقدَّر، وهناك محذوف، وهناك كذا إلا إذا اضطررنا لذلك، ورأينا من كلام العرب ما يساعدنا على هذا.**

**فالفرّاء -رحمه الله تعالى- هنا لجأ إلى التقدير فقال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ التقدير: وقد كنتم أمواتاً، ثم استدل على هذا وجعل هذه القاعدة مطردة عنده.**

**المحققون -جزاهم الله خيراً- عقّبوا على هذا فقالوا: جرى الفرّاء على القاعدة المقررة عند الجمهور؛ من أن الجملة الفعلية الماضوية المثبتة إذا وقعت حالاً فلا بد من تقدير ووجود "قد" ظاهرة أو مقدّرة؛ لتقرّبه من الحال، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ﴾[الأنعام:119] ذكر كلمة "قد"، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾[آل عمران:40] ذكر كلمة "قد"، بما أنه قد ذكرها في هذه المواضع إذاً نحن نقدّرها في هذا الموضع: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أيْ: وقد كنتم أمواتاً. ولكن الذي أنا أميل إليه هو ما قرره أبو حيان رحمه الله، قال: والصحيح جواز وقوع الماضي حالاً بدون "قد"، ولا يُحتاج إلى تقديرها لكثرة ورود ذلك، وتأويل الكثير ضعيفٌ جداً.**

**رحم الله أبا حيان لقد كان في هذا المقياس وفي كثيرٍ من مقاييسه يصيب وجه الحق؛ لأن هذا استعمالٌ قرآني يمكن أن نقول بأن الأصل العربي القديم وجود "قد" -مثلاً-، أو بأنه جاز دخول "قد"، ولكنه أيضاً يجوز الإتيان بالجملة مع حذف "قد".**

**إذاً هذا ما أراد أن يقرره في هذا كله، وقد ذكر بعض الفوائد لا داعي للاستطراد فيها، إنما أردت أن أبيّن لكم هذه القواعد المهمة، أسأل الله تعالى أن ينفعنا بها وأن يتقبلها.**

**وقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾[البقرة:28] يعنى نُطَفاً، وكل ما فارق الجسد من شَعَرٍ أو نُطْفة فهو ميتة -والله أعلم-، يقول: فأحياكم من النُّطَف، ثُم يميتكم بعد الحياة، ثم يحييكم للبعث.**

**وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾[البقرة:29]. الاستواء في كلام العرب على جهتين: إحداهما أن يستوِىَ الرجلُ وينتهى شبابُه، أو يستوى عن اعوِجاج، فهذان وجهان، ووجه ثالثٌ أن تقول: كان مقبلاٌ على فلان ثم استوى عليّ يُشاتمني وإليّ سَواءٌ، على معنى أقْبَلَ إلي وعليّ؛ فهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ والله أعلم.**

**وقال ابن عباس: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ صعِدَ، وهذا كقولك للرجل: كان قائماً فاستوى قاعداً، وكان قاعداً فاستوى قائماً. وكلٌّ في كلام العرب جائزٌ.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: المؤلف - رحمه الله تعالى- هنا قال أن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ وجهين، وفي الحقيقة عند التفصيل فيه خمسة أوجه؛ لأن استوى قد تتعدى بـ"إلى" وقد تتعدى بـ"على"، وقد تتعدى إلى مفعول وقد تكون لازمة، ولها وجوهٌ أخرى أشرت إليها في تفسيري لسورة الأعراف في الآية الرابعة والخمسين، وقد أحسن الفراء رحمه الله تعالى فيما ذكر هاهنا إحساناً عظيماً، بعيداً عن تأويلات المتكلفين.**

**فأما قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ فإن السماء في معنى جَمْعٍ، فقال "فَسَوَّاهُنَّ" للمعنى المعروف؛ أنهنّ سبعُ سموات، وكذلك الأرض يقع عليها -وهي واحدةٌ- الجمعُ، ويقع عليهما التوحيدُ وهما مجموعتان، قال الله عز وجل: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[مريم:65] ولم يقل بينهنّ، فهذا دليل على ما قلتُ لك.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذه من قواعد النحو استنبطها –رحمه الله- من القرآن، وقد أحسن إحساناً عظيماً؛ أنه قد يؤتى بالاسم ويُراد به جنسُه.. فيُراد به الجمع، وقد يؤتى بالجمع ويُعاد عليه بالإفراد.**

**وقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ﴾[البقرة:31]. فكان ﴿عَرَضَهُمْ﴾ على مذهب شُخوصِ العالمين وسائر العالَم، ولو قُصِد قَصْدُ الأسماء بلا شخوص جاز فيه "عرضهنّ" و"عرضها"، وهي في حرفِ عبدالله "ثم عرضهنّ"، وفي حرف أُبيٍّ "ثم عرضها"، فإذا قلت "عرضها" جاز أن تكون للأسماءِ دون الشخوص وللشخوص دون الأسماء.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: عندي شك عظيم فيما ينسبونه إلى أُبيٍّ وإلى عبد الله بن مسعودٍ رضي الله تعالى عنهما، ومما يدلُّ على هذا الشك: هذا الذي ترونه؛ فإنه لا يمكن أن يعرض الأسماء، كيف يعرض عليهم الأسماء؟ هو لا يعرض عليهم إلا شخوص الأسماء ثم يسألهم عن الأسماء كما هو واضح.**

**وقوله: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾[البقرة:33] إنْ همزت قلت: ﴿أَنْبِئْهُمْ﴾ ولم يجز كسر الهاء والميم؛ لأنها همزةٌ وليست بياءٍ فتصير مثل "عليهِم".**

**وإن ألقيتَ الهمزةَ فأثبتّ الياء أو لم تثبتها جاز رفعُ "هم" وكسرها على ما وصفت لك في "عليهِم" و"عليهُم".**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو يقول: إن أبدلت الهمزة أصبحت "أَنْبِيْهِم"، فيجوز لك الوجهان "أنْبِيْهُم" و"أنْبِيْهِم" مثلما ذكرنا في كلمة "عليهِم" و"عليهُم".**

**وقوله: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا﴾[البقرة:35]. إن شِئتَ جعلتَ ﴿فَتَكُونَا﴾ جواباً نصباً، وإن شِئتَ عطفتَه على أوّل الكلام فكان جزْماً؛ مثل قول امرئ القيس:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فقلتُ له صَوِّبْ ولا تَجْهَدَنَّهُ** |  | **فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى الْقَطاةِ فَتَزْلُقِ** |

**فجَزَمَ، ومعنى الجزم كأنّه تكرير النهي، كقول القائل: لا تذهب ولا تعرَّض لأحد، ومعنى الجواب والنَّصْب: لا تفعل هذا فيُفعلَ بك مجازاةً، فلمّا عُطف حرفٌ على غير ما يشاكله وكان في أوّلِهِ حادثٌ لا يصلح في الثاني نُصِبَ. ومثله قوله: ﴿وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾[طه:81]، وقوله: ﴿لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾[طه:61]، وقوله: ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[النساء:129].**

**وأمّا قوله: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ فإنّ جوابه قولُه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنعام:52] والفاء التي في قوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب لقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ففي قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الجزم والنصب على ما فسّرتُ لك، وليس في قوله: "فَتَطْرُدَهُمْ" إلا النصب، لأنّ الفاء فيها مردودة على محلٍّ وهو قوله: "مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ" و"عليك" لا تشاكل الفعل.**

**وقوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[البقرة:37]، فـ ﴿آدَمُ﴾ مرفوع والكلمات في موضع نصب، وقد قرأ بعض القرّاء: "فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ" فجعلَ الفعلَ للكلمات والمعنى -والله أعلم- واحدٌ؛ لأن ما لَقِيَك فقد لقيتَه وما نالك فقد نلته.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: يقصد بالقراءة الأخرى قراءة ابن كثير ﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾، وهو يقول بأن المعنى واحد في الجملة، لكن الحقيقة أن المعنى الذي نراه في قراءة ابن كثير عميق وعظيم، ويدلُّ على شيءٍ آخر غير المعنى الذي في قراءة الجمهور؛ فإنه يدلُّ على رحمة الله تعالى به حتى كأن الكلمات هي التي تلقّت آدم وكأنه هو الذي سار إليها، بينما في قراءة الجهور؛ الكلمات هي التي سارت إلى آدم، وهنا يكتمل المشهدان في مشهدٍ واحدٍ عظيم يبيّن توبة آدم ورحمة الله به، ويبيّن لنا الجمع بين الشرع والقدَر.**

**وقوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة:40]. المعنى لا تنسَوْا نعمتي، لتكن منكم على ذُكْر، وكذلك كل ما جاء من ذكر النعمة فإن معناه -والله أعلم- على هذا: فاحفظوا ولا تَنْسَوا. وفي حرف عبدالله: "ادَّكِروا". وفي موضع آخر: "وتَذَكَّروا ما فيه"، ومثله في الكلام أن تقول: "اذكُرْ مَكاني مِنْ أبيك".**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: مما يناسب أن يكون بحثاً علمياً: (القراءات المنسوبة لعبد الله بن مسعود في تفسير الإمام الفراء) هذا بحث ماجستير ممتاز جداً.**

**وأمَّا نصب الياء من "نِعْمَتِي" فإن كل ياءٍ كانت من المتكلم ففيها لغتان: الإرسالُ والسّكون، والفتح، فإذا لَقيتْها ألفٌ ولام، اختارت العربُ اللغة التي حرّكت فيها الياء وكرِهوا الأخرى؛ لأن اللاّم ساكنة فتسقط الياء عندها لسكونها، فاستقبحوا أن يقولوا: نعمتِي التي، فتكونَ كأنها مخفوضةٌ على غير إضافة، فأخذوا بأوثق الوجهين وأبينهما. وقد يجوز إسكانها عند الألف واللام؛ وقد قال الله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[الزمر:53] فقرئت بإِرسال الياء ونصبها، وكذلك ما كان في القرآن مما فيه ياءٌ ثابتةٌ ففيه الوجهان، وما لم تكن فيه الياء لم تُنصب، وأمَّا قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾[الزمر:17-18] فإن هذه بغير ياء، فلا تُنصب ياؤها وهي محذوفة؛ وعلى هذا يُقاس كل ما في القرآن منه، وقوله: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾[النمل:36] زعم الكسائيُّ أن العرب تستحبُّ نصب الياء عند كل ألفٍ مهموزةٍ سوى الألف واللام، مثل قوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ و ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، ولم أر ذلك عند العرب، رأيتهم يرسلون الياء فيقولون: عندِي أبوك، ولا يقولون: عنديَ أبوك بتحريك الياء، إلا أن يتركوا الهمز فيجعلوا الفتحة في الياء في هذا ومثله. وأما قولهم: لِيَ ألفان، وبِيَ أخواك كفيلان، فإنهم ينصبون في هذين لقلّتهما، فيقولون: ليَ أخواك، ولِيَ ألفان، لقلّتهما. والقياس فيهما وفيما قبلهما واحد.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو يقول بأن كل ياء المتكلم فيها ثلاث لغات في الجملة مع تفاصيل، اللغة الأولى: الإرسال، والثانية: السكون والفتح.**

**هو يتكلم عما هو خارج القرآن، وأما في القرآن ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي﴾ ليس فيها خلاف، لكن هو يتكلم عن ياء المتكلم.**

**ذَكر –رحمه الله- الإرسال، فما لغة الإرسال؟**

**الإرسال بمعنى: الحذف. وهذه من مصطلحات الفرّاء رحمه الله؛ اصطلح على حذف الياء بقوله الإرسال.**

**وقوله: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة:41]. كل ما كان فِي القرآن من هذا قد نُصِبَ فِيهِ الثَّمَنُ وأدخلت الباء فِي المبيع أو المشترى، فإن ذلك أكثر ما يأتي فِي الشيئين لا يكونان ثَمَنًا معلوما مثل الدنانير والدراهم.**

**فإن جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثّمن، كما قال في سورة يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[يوسف:20]؛ لأن الدراهم ثمنٌ أبداً، والباء إنما تدخل في الأثمان، فذلك قوله: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[التوبة:9]، وقوله: ﴿اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾[البقرة:86]، ﴿اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾[البقرة:175]، فأَدْخِل الباء في أيّ هذين شئتَ حتى تصير إلى الدنانير والدراهم فإنك تُدخل الباء فيهن مع العُروض.**

**فإن أحببت أن تعرف فرق ما بين العُروض وبين الدراهم، فإنك تعلم أن من اشترى عَبْدا بألف درهم معلومة، ثُمَّ وجد به عيبا فرده لم يكن له على البائع أن يأخذ ألفه بعينه، ولكن ألفا. ولو اشترى عَبْدا بجارية ثُمَّ وجد به عيبا لم يرجع بجارية أخرى مثلها، فذلك دليل على أن العُروض ليست بأثمان.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذه صالحة لأن نقول: القواعد النحوية والبيانية التي قررها الإمام الفرّاء في كتابه معاني القرآن، وهذا أيضاً يناسب أن يكون ضمن أبحاث الماجستير والدكتوراه.**

**وقوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ ﴾[البقرة:36]. فإنه خاطب آدم وامرأته، ويقال أيضاً: آدم وإبليس، وقال: ﴿اهْبِطُوا﴾ يعنيه ويعني ذرّيته، فكأنه خاطبهم، وهو كقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت:11] المعنى -والله أعلم-: أَتَيْنا بما فينا من الخلق طائعين، ومثله قول إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[البقرة:128]، ثم قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[البقرة:128] وفي قراءة عبد الله "وَأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ" فجمع قبل أن تكون ذرّيته. فهذا ومثله في الكلام مما تتبيّن به المعنى أن تقول للرجل: قد تزوّجتَ ووُلِدَ لك فكثُرْتم وعَزَزتم.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: ذكر سابقا قاعدة ممتعة؛ الباء متى تدخل على الثمن، ومتى تدخل على المبيع؟ متى تدخل على البيع ومتى تدخل على الشراء؟ على المشترى وعلى المبيع؟**

**وهنا ذكر قاعدة أخرى تتعلق بما إذا ذُكِر المثنى ثم جيء به مجموعاً، ثم عُبِّر عن نفس الكلمة بالجمع ماذا يكون؟ ولا نخوض في هذا طويلاً.**

**وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾[البقرة:48]. فإنه قد يعود على اليوم والليلة ذِكْرُهما مرّة بالهاء وحدها ومرة بالصِّفَة فيجوز ذلك؛ كقولك: لا تجزي نفس عن نفس شيئاً وتضمر الصفة، ثم تُظهرها فتقول: لا تجزي فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئاً.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: الخلاصة أن معنى قوله تعالى: ﴿لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أيْ لا تجزي فيه، وقد عُرِف هذا المحذوف من السياق.**

**وقوله: ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[البقرة:41] فوحّد الكافر وقبله جمعٌ وذلك من كلام العرب فصيحٌ جيدٌ فِي الاسم إذا كان مشتقًّا من فِعْل، مثل الفاعل والمفعول يرادُ به ولا تكونوا أول من يكفر فتحذف «من» ويقوم الفعل مقامها فيؤدي الفعلُ عن مثل ما أدّت «من» عَنْهُ من التأنيث والجمع وهو فِي لفظ توحيدٍ.**

**وقوله: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:42]، ﴾ إن شئت جعلت «وَتَكْتُمُوا» فِي موضع جزم تريد به: ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتموا الحق، فتُلقي «لا» لمجيئها فِي أول الكلام.**

**وإن شئت جعلت هذه الأحرُفَ المعطوفة بالواو نصبًا على ما يقولُ النحويّون من الصَّرْف فإن قلت: وما الصّرف؟**

**قلت: أن تأتي بالواو معطوفةً على كلامٍ في أوّله حادثة لا تستقيم إعادتُها على ما عُطِف عليها، كقول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لا تَنْهَ عن خلق وتأتي مثله** |  | **عار عليك إذا فَعلتَ عظِيمُ** |

**فلا يجوز إعادة «لا» فِي «تأتي مثله» ولذلك سُمّي صَرْفًا إذْ كان مَعطوفًا ولم يستقم أن يُعاد فِيهِ الحادث الَّذِي قبله.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو الآن يريد أن يحلّ هذه المشكلة في قوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا﴾ "تكتموا" مجزومة معطوفة على "تلبسوا"، والتقدير: (لا تلبسوا الحق بالباطل) هذه خطيئة من الخطيئات، (ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون) هذه خطيئةٌ أخرى من الخطيئات.**

**أما إذا جعلناها منصوبة بـ"أن" محذوفة، التقدير: ولا تلبسوا الحق بالباطل وأن تكتموا، فهنا يُحتمل: ولا تلبسوا الحق بالباطل حال كونكم تكتمون الحق وأنتم تعلمون، فهو نهيٌ عن جريمةٍ واحدة فعلتم فيها شيئاً مركباً، هو أنكم لبستم الحق بالباطل وكتمتم، فهذا الفرق بين المعنيين، فينبغي التأمُّل فيه، ففيه جمال.**

**وقد ذكر هنا أيضاً مصطلحاً آخر من استعمالاته، ذكر فيما سبق: الإرسال، والآن ذكر الصرف وعرّف الصرف.**

**الصرف عنده معناها: أن "الواو" ليست عاطفة، وستكون هنا للحالية أو نحو ذلك.**

**وقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[البقرة:72]، وقوله: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[البقرة:51]، وقوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾[البقرة:50] ﴾ يقول القائل: وأين جواب «إِذْ» وعلام عُطِفت؟ ومثلها في القرآن كثير بالواو ولا جواب معها ظاهر؟ والمعنى- والله أعلم-: على إضمار «وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ» أو «إذ كنتم»، فاجتزئ بقوله: «اذْكُرُوا» في أول الكلام، ثُمَّ جاءت «إِذْ» بالواو مردودةً على ذلك. ومثله من غير «إِذْ» قول اللَّه: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[الأعراف:73] وليس قبله شيءٌ تراه ناصبًا لصالح، فعُلم بذكر النَّبِيّ ﷺ والمُرسَل إليه أن فِيهِ إضمار (أرسلنا).**

**ويُستدل على أنّ "واذكروا" مضمرة مع "إذ" أنه قال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ في الأَرْضِ﴾، ﴿واذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثّرَكُمْ﴾ فلولم تكن هاهنا "واذكروا" لاستدْلَلتَ على أنّها تُراد؛ لأنّها قد ذُكرت قبلَ ذلك، ولا يجوزُ مثلُ ذلك في الكلام بسقوط الواو إلاّ أن يكون معه جوابه متقدِّماً أو متأخِّراً؛ كقولك: ذكرتُك إذ احتجتُ إليك أو: إذ احتجتُ ذكرتُك.**

**وقوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾[البقرة:50]. يقال: قد كانوا في شُغلٍ من أَنْ يَنْظُروا، مَستورينَ بما اكْتَنَفَهم مِن البحر أن يروا فِرعون وغرقَه، ولكنّه في الكلام كقولك: قد ضُرِبتَ وأهلُك يَنْظُرون فما أتَوْك ولا أغاثوك، يقول: فهم قريبٌ بمرأىً ومَسْمَع. ومثله في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[الفرقان:45]، وليس هاهنا رؤيةٌ إنمّا هو عِلمٌ، فـ"رأيتُ" يكونُ على مذهبين: رُؤيةُ العِلْم ورُؤيةُ الْعَيْن، كما تقول: رأيتُ فِرعَوْنَ أعْتَى الخلق وأخْبَثَه، ولم تره إِنما هو بلغك؛ ففي هذا بيانٌ.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: الذي يظهر لي أنهم كانوا ينظرون، هو حاول أن يأتي بتخريج رحمه الله رحمةً واسعة، وأنا لا يظهر لي ما ذهب إليه أبداً، بل كانوا ينظرون؛ لأنهم نجوا والتفتوا ينظرون ما سيكون وراءهم وماذا سيحدث؟ طبعاً هو لا يعتقد أنهم وهم يخرجون من الأرض اليبَس التي هي مجرى البحر، عندما خرجوا ولّوا الأدبار هرباً وما كانوا في شغل، هو هكذا يظن، لكن الذي يظهر لي أنه من فزعهم التفتوا إلى أن ينظروا لأنهم يعلمون أن فرعون سيذيقهم إذا خرج، فهل سيخرج؟ لن يخرج؛ لأنهم نظروا إليه وهو يغرق، فالأصل إقامتها على ظاهرها.**

**وقوله: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[البقرة:51]، ثم قال في موضعٍ آخر: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[الأعراف:142], فيقول القائل: كيف ذكر الثلاثين وأتمّها بالعشر، والأربعون قد تكمل بعشرين وعشرين، أو خمسةٍ وعشرين وخمسةَ عشرَ؟ قيل: كان ذلك -والله أعلم- أنّ الثّلاثين كانت عدد شهرٍ، فذكِرت الثلاثون منفصلة لمكان الشَّهر وأنّها ذو القعدة، وأتممناها بعشرٍ من ذي الحِجَّة، كذلك قال المفسِّرون. ولهذه القِصَّة خُصّت العشرُ والثلاثون بالانفصال.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو هكذا رأى -رحمه الله تعالى- والذي أراه غير ذلك، وهو أن الله وعده ثلاثين، ثم زاده بعد ذلك ابتلاءً وامتحاناً لقومه.**

**وقوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[البقرة:53] ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون أراد ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة، ﴿وَ﴾ محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾.**

**وقوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كأنّه خاطبهم فقال: قد آتيْناكم علمَ موسى ومحمد -عليهما السلام- ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾؛ لأن التوراة أُنزلت جملةً ولم تنزل مُفرّقة كما فُرّق القرآن؛ فهذا وجهٌ.**

**والوجه الآخر: أن تجعل التوراة هدىً، والفرقان كمثله، فيكون: ولقدْ آتَيْنا موسى الهُدى كما آتينا مُحَمّداً صلى الله عليه وسلم الهدى. وكلُّ ما جاءت به الأنبياءُ فهو هُدىً ونورٌ، وإنّ العرب لتجمعُ بين الحرفَيْن وإنّهما لواحِدٌ إّذا اختلف لفظاهما، كما قال عَدِيّ بن زيد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِراهِشَيْهِ** |  | **وأَلْفَى قَوْلَها كذِباً ومَيْنَا** |

**وقولهم: بُعْداً وسُحْقاً، والبُعد والسُّحق واحدٌ، فهذا وجهٌ آخرُ. وقال بعض المفسِّرين: الكتابُ التّوراةُ، والفُرقان: انْفِراقُ البحر لبني إسرائيل. وقال بعضهم: الفرقان الحَلالُ والحرامُ الذِي في التَّوراة.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: يجوز العطف بصفتين لموصوفٍ واحد ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ لأنه مكتوب، والفرقان لأنه يفرّق الله به بين الحق والباطل، ونجري الكلام على ظاهره لا إشكال.**

**وقوله: ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[البقرة:57] بلغنا أن الَمنَّ هذا الّذي يسقُط على الثُّمَام والعُشَر، وهو حلو كالعسل، وكان بعضُ المفسِّرين يسمِّيه الَّتَرنْجَبين الذي نعرف. وبلغنا أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»، وأما السَّلْوَى: فطائِر كان يسقط عليهم لما أَجَموا المنَّ، شبيهٌ بهذه السُّمَانَى، ولا واحد للسَّلْوى.**

**وقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[البقرة:58]. يقول -والله أعلم- قولوا: ما أُمِرتم به؛ أي هي حطةٌ، فخالَفُوا إلى كلام بالنَّبطِية، فذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[البقرة:59].**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: أيْ احطط عنا خطايانا بمعنى "نستغفر الله"، وكنت وددت لو هناك من يعرف العبرية معرفة جيدة، أن ينظر ماذا يقال لهذا "نستغفر الله" أو «احطط عنا خطايانا» في لغتهم العبرية القديمة، لأنها تكاد لا يعرفها إلا القِلَّة.**

**وبلغني أنّ ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: أُمِروا أن يقولوا: "نستغفر الله"؛ فإن يكُ كذلك فينبغي أن تكون "حِطّةً" منصوبة في القراءة؛ لأنك تقول: قلتُ لا إله إلا الله، فيقول القائل: قلتَ كلمةً صالحة، وإنما تكون الحكاية إذا صلح قبلها إضمارُ ما يرفع أو يخفض أو ينصب، فإذا ضممت ذلك كله فجعلته كلمة كان منصوباً بالقول كقولك: مررت بزيد، ثم تجعل هذه كلمةً فتقول: قلت كلاماً حسناً، ثم تقول: قلتُ زيدٌ قائمٌ، فيقول: قلتَ كلاماً، وتقول: قد ضربتُ عمراً، فيقول أيضاً: قلتَ كلمةً صالحة.**

**فأما قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[الكهف:22] إلى آخر ما ذُكِر من العدد؛ فهو رفعٌ لأن قبله ضميرَ أسمائهم، سيقولون: هم ثلاثة، إلى آخر الآية. وقوله: ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾[النساء:171] رفعٌ، أيْ قولوا: الله واحدٌ، ولا تقولوا الآلهةُ ثلاثةٌ. وقوله: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾[الأعراف:164] ففيها وجهان: إن أردت ذلك الذي قلنا معذرةٌ إلى ربكم رفعتَ، وهو الوجه. وإن أردت: قلنا ما قلنا معذرةً إلى الله فهذا وجهُ نصْبٍ.**

**وأما قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا﴾[النساء:81] فإن العرب لا تقوله إلّا رفعاً؛ وذلك أنّ القوم يُؤمَرون بالأمْر يكرهونه فيقول أحدهم: سمعٌ وطاعةٌ، أي قد دخلنا أوّلَ هذا الدِّين على أن نَسمعَ ونُطيعَ فيقولون: علينا ما ابتدأناكم به، ثم يخرجون فيخالفون، كما قال عز وجل: ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾[النساء:81] أيْ: فإذا خرجوا من عندك بدّلوا، ولو أردت في مثله من الكلام: أي نطيع، فتكون الطاعة جواباً للأمر بعينه جازَ النصبُ، لأنّ كلّ مصدر وقع موقع فعَل ويَفْعل جاز نصبُه، كما قال الله تبارَك وتعالى: ﴿مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأخُذَ﴾[يوسف:79] معناه -والله أعلم-: نعوذ بالله أن نأخذ. ومثله في النور: ﴿قُلْ لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾[النور:53] الرفع على: ليكن منكم ما يقوله أهلُ السَّمع والطاعة.**

**وأما قوله في النحل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[النحل:24] فهذا قولُ أهل الجَحْد؛ لأنهم قالوا لم ينزل شيئاً، إنما هذا أساطير الأوّلين، وأما الذين آمنوا فإنهم أقرّوا فقالوا: أنزل ربُّنا خيراً، ولو رُفع خيرٌ على: الذي أنزله خيرٌ لكان صواباً، فيكون بمنزلة قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ ماذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ و ﴿قُلِ الْعَفْوُ﴾ النّصبُ على الفعل: يُنفقون العفوَ، والرفعُ على: الذي يُنفقون عفوُ الأمْوالِ.**

**وقوله: ﴿فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ﴾[الذاريات:25] فأما السلام فقولٌ يقال، فنُصب لوقوع الفعلِ عليه، كأنّك قلتَ: قلتُ كلاماً. وأما قوله: ﴿قَالَ سَلاَمٌ﴾ فإنه جاء فيه نحن "سَلاَمٌ" وأنتم "قَوْمٌ مُنْكَرُونَ". وبعض المفسرين يقول: ﴿فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ﴾ يريد سلّموا عليه فردّ عليهم، فيقول القائل: ألا كان السّلام رفعاً كلّه أو نصباً كلّه؟ قلت: السّلام على معنيين: إذا أردتَ به الكلام نصبتَه، وإذا أضمرت معه "عليكم" رفعتَه، فإن شئت طرحتَ الإضمارَ من أحد الحرفين وأضمرتَه في أحدهما، وإن شئت رفعتَهما معاً، وإن شئت نصبتهما جميعاً.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذا كله استدراك على ابن عباس –رضي الله عنهما- في قوله: أُمِروا أن يقولوا: "نستغفر الله"، قال: فإن يكُ كذلك -يعني كلام ابن عباس- لكان ينبغي أن ترِد القراءة في القرآن (حِطّةً) منصوبة، فكأنه يقول بأن هذا الوارد عن ابن عباس ليس له وجهٌ كبير، والصحيح أن له وجهاً؛ لأنه تكلّم عن هذه الكلمة "احطط عنا خطايانا" من زاوية، ولم يتكلم عنها فيما إذا كانت منحوتة، فيجوز أن ننحت من "احطط عنا" كلمةً فتكون "حِطّة" مرفوعة ويتحقق ما قاله ابن عباس، ولهذا تفصيل واسع فيما بعد إن شاء الله.**

**وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.**